الفصل الثاني
أهداف الأسرة ووظائفها

الأسرة كأي جماعة اجتماعية لها أهداف تسعى إلى تحقيقها ووظائف تقوم بها ، وديناميكيات تحركها نحو أهدافها ، ومع هذا فإن جماعة الأسرة تختلف عن غيرها من الجماعات في علاقة أهدافها بأفرادها ووظائفها . فأهداف الجماعات غير الأسرة قد تكون لصالح أفرادها أو صالح غيرهم ، أما أهداف جماعة الأسرة فهي لصالح أفرادها، لأنهم المستفيدون منها . فالأسرة لهم وبهم . كما أن وظائف الجماعات غير الأسرة وسيلة لتحقيق أهداف الجماعة أو تحقيق أهداف أخرى ليست للجماعة ، أما وظائف الأسرة فهي أهداف لها ، ومن الصعب الفصل بين ما هو هدف ووظيفة في الأسرة ، ولكننا سنحاول إبراز أربعة أهداف رئيسة تدور حولها وظائف الأسرة جميعها . ونتناول في هذا الفصل أهداف الأسرة ووظائفها، ثم نعرج بعد ذلك إلى مناقشة قانون تناقص وظائف الأسرة وموقفه من وظائف الأسرة المسلمة، ثم نعرض للمسئوليات التي تقوم عليها وظائف الأسرة وإسهامات كل من الزوجين فيها.

أهداف الأسرة

الأسرة جماعة أو نظام اجتماعي لها أهداف سامية تسعى إلى تحقيقها من أجل الزوجين أو الوالدين والأبناء والأقارب ، ويتفق علماء الاجتماع العائلي وعلم النفس الأسرى على ثلاثة أهداف للأسرة التقليدية في كل المجتمعات تقريبًا نلخصها في الآتي :

1- تنمية أفراد الأسرة جميعهم من النواحي الجسمية والنفسية والاجتماعية والروحية .

2- الإنجاب وتنشئة الأجيال، وحفظ المجتمع ونقل ثقافته من جيل إلى جيل .

3- إعطاء الحياة معنى أو قيمة تجعلها جديرة بأن يعيشها الإنسان .

يضاف إلى هذه الأهداف هدف رابع خاص بالأسرة المسلمة، التي يسعى أفرادها إلى عبادة الله وتعمير الأرض من خلال تطبيق منهج الله في الزواج وبر الوالدين وصلة الرحم ورعاية الأبناء والأهل . ولا يتحقق هذا الهدف إلا في الأسرة المسلمة التي تنشأ وتتكون بتشريعات سماوية ، تجعلها ـ أي الأسرة ـ من الأعمال التعبدية التي يستفيد منها المسلم والمسلمة في الدنيا والآخرة . فقد جعل الإسلام " الزواج وبناء الأسرة " نصف الدين . فقال ﷺ إذا تزوج العبد فقد استكمل نصف دينه ، فليتق الله في النصف الآخر". وجعل الإنجاب وتربية الولد الصالح الذي يدعو لوالديه بعد مماتهما من الأعمال التعبدية، التي يستمر ثوابها بعد موت الوالدين ، وجعل بر الوالدين والإحسان إليهما مقترنًا بعبادة الله . قال تعالى: ﴿ ۞ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا ﴾ [الإسراء: 23] وهذا يعني أن عبادة الله هدف أساسى من أهداف الأسرة المسلمة في الماضى والحاضر والمستقبل، ولا تبديل فيه ولا تغيير لأنه من عند الله .

وظائف الأسرة

وتحقق الأسرة أهدافها السابقة من خلال قيامها بوظائف عديدة، لا يستغنى عنها الفرد ولا الأسرة ولا المجتمع، وهذه الوظائف متداخلة ومترابطة ومن الصعب الفصل بينها إلا بغرض الدراسة والبحث . ومن أهم هذه الوظائف الآتى :

الوظيفة الأولى - إشباع حاجات أفراد الأسرة :

فكل أسرة مسئولة عن إشباع حاجات أفرادها الصغار والكبار . وهي حاجات كثيرة ومتنوعة يصعب حصرها ، لكن يمكن تصنيفها إلى حاجات: **وسيلية** (منها المسكن والمأكل والملبس والمشرب وغيرها من الحاجات التي تقوم عليها الحياة، فهي وسيلة لحفظ حياة الأفراد) **وتعبيرية**

أو نفسية (منها الأمن والمودة والمحبة والتراحم والمساندة والانتماء وغيرها من الحاجات التي يقوم عليها ترابط الأسرة وسعادة أفرادها) (Kaplan, 1962) . وسوف نصنفها في هذا الكتاب وفق أبعاد الإنسان : الجسمية والنفسية والاجتماعية والروحية على النحو الآتى:

أ - **الحاجات الجسمية أو العضوية** : وتشمل الحاجات التي ترتبط ببقاء الإنسان وحفظ نوعه، وتسهم في تنمية جسمه، وحمايته من الأمراض ومن الانقراض، وهذا يعني أن الحاجات الجسمية حاجات وسيلية من أجل حفظ حياة الإنسان وحفظ نوعه، فنحن نأكل لنعيش ولا نعيش لنأكل. ومن أهم هذه الحاجات : الحاجة إلى الطعام والماء، والحاجة إلى المأوى والملبس ، والحاجة إلى النوم والراحة ، والحاجة إلى الجنس والإنجاب والوالدية، والحاجة إلى النشاط والحركة وغيرها من الحاجات التي ترتبط بحياة الإنسان واستمرار وجوده.

ومن الملاحظ أن الحاجة إلى الجنس والإنجاب هي الحاجة الوحيدة التي لا يمكن أن يشبعها الإنسان من خارج الأسرة لاسيما في المجتمعات الإسلامية ، التي تحرم الزنا وتشجع على الزواج والإنجاب. أما الحاجات الجسمية الأخرى فيمكن إشباعها من خارج الأسرة، لكن يظل إشباعها في الأسرة أفضل بالنسبة لكثير من الناس، الذين يجدون في إشباعها في الأسرة مذاقًا خاصًا، لا يجدونه في إشباعها في أي مكان آخر خارج الأسرة (Duvall & Miller, 1985).

ب- **الحاجات النفسية** : وهي حاجات غير عضوية ترتبط بالنمو النفسى وتزكيه النفس، وتنميه الصحة النفسية والوقاية من الانحرافات السلوكية والاضطرابات النفسية، ومن أهم هذه الحاجات : الحاجة إلى الأمن والطمأنينة، والحاجة للإنجاز، والحاجة إلى الاعتماد على النفس ، والحاجة إلى الإحساس بالكفاءة والجدارة ، والحاجة إلى حب الاستطلاع ، والحاجة إلى التعلم واكتساب الخبرات، وغيرها من الحاجات المكتسبة في معظمها من خلال عملية التنشئة الاجتماعية في الأسرة .

وهـذه الحاجـات وإن كـان يمكـن إشـباعها في الأسرة وخارجهـا، إلا أن إشـباعها في الأسرة لـه تـأثير كبـير عـلى نمـو شخـصية الإنـسان، ونجاحـه في الحيـاة وسـعادته في الـدنيا ، أمـا حرمانـه مـن إشـباعها في الأسرة ـ ولاسـيما في مرحلـة الطفولـة ـ فلـه علاقـة قويـة بـالوهن النفـسى والخلـل في الشخـصية والانحرافـات الـسلوكية، والأمـراض الـسيكوسوماتية (عـوده ومرسـى ، 2000 ، . ومرسى ، 2003).

ج- **الحاجـات الاجتماعيـة** : وهـي كالحاجـات النفـسية حاجـات غـير عـضوية، هـدفها تنميـة علاقـة الإنـسان بـالآخرين ، والارتبـاط بهـم ، والانـتماء إلـيهم . وتـشمل الحاجـة لأن نُحِـب ونُحَـب، والحاجـة إلى الاستحـسان والتقـدير ، والحاجـة إلى الانـتماء وغيرهـا مـن الحاجـات التـي لا يـستطع الإنـسان إشـباعها إلا مـن خـلال تفاعلـه مـع الآخـرين ، وتوافقـه معهـم ، وحـصوله عـلى الاستحـسان مـنهم ، وشـعوره بالتقبـل مـنهم ، والرضـا عـنهم ، ولاسـيما الأشـخاص المهمـين في حياتـه، وهـم الوالـدان بالنـسبة للأبنـاء أو الـزوج بالنـسبة للزوجـة، أو الزوجـة بالنـسبة للـزوج ، أو الـرئيس بالنـسبة للمرءوس في العمل وغيرهم .

وهـذه الحاجـات وإن كـان الإنـسان يـستطيع إشـباعها مـن داخـل الأسرة ومن خارجهـا، فـإن إشـباعها في الأسرة أفـضل للـصحة النفـسية والجـسمية مـن إشـباعها خارجهـا؛ لأن أفـراد أسرة الإنـسان هـم أهـم النـاس الـذين يحـرص على أن يحـبهم ويحبونـه، ويـسعد بالاستحـسان والتقـدير مـنهم ، ويعتـز بـالانتماء إلـيهم ، ويـسعى إلى الحـصول عـلى تقـبلهم ورضـاهم . وتـشير الدراسـات إلى ارتبـاط التوافـق النفـسي الحـسن وحـسن الخلـق ونـضج الشخـصية، والـسعادة في الحيـاة، والنجـاح في العمـل بإشـباع هـذه الحاجـات في الأسرة ، وارتبـاط الاضـطرابات النفـسية والانحرافـات الـسلوكية والأمـراض الـسيكوسوماتية

وغيرها من الانحرافات بالحرمان من إشباع هذه الحاجات في الأسرة، ولاسيما في مرحلتى الطفولة والمراهقة . فالأسرة هي أفضل مكان لإشباع الحاجات الاجتماعية ، ومَنْ حُرِمَ من الأسرة فلن يجدَ الإشباع الحقيقى لهذه الحاجات في أي جماعة أخرى.

د- **الحاجات الروحية** : وهي كالحاجات النفسية والاجتماعية حاجات غير عضوية، ترتبط بالبعد الروحى في الإنسان ، وتدفعه إلى عبادة الله من خلال الزواج ، وبناء الأسرة ، والإنجاب وتربية الولد الصالح ، وبر الوالدين وصلة الرحم . فكل مسلم في حاجة إلى الحصول على ثواب الله والفوز بالجنة من خلال الأسرة . ومن لم يتزوج وينشئ لنفسه أسرة وهو قادر على ذلك، فقد حرم نفسه من خير كثير في الدنيا والآخرة .

والأسرة ميدان واسع لتحقيق الغاية من خلق الإنسان في عبادة الله، وتعمير الأرض ، فالزواج ـ الذي شرعه الله لبناء الأسرة ـ نصف الدين . فقد قال الرسول ﷺ " إذا تزوج المسلم فقد استكمل نصف دينه فليتق الله في النصف الآخر" . وإنجاب الولد الصالح الذي يدعو لوالديه ، والإنفاق على الأسرة وبر الوالدين وصلة الرحم عبادة لله، فقد قال رسول الله ﷺ : "يا معشر المسلمين اتقوا الله وصلوا أرحامكم ، فإنه ليس من ثواب أسرع من صلة الرحم" (من حديث رواه أحمد)، وقال ﷺ أيضًا : " رغم أنفه ثم رغم أنفه، قيل مَنْ يا رسول الله ؟ قال " من أدرك والديه عند الكبر أو أحدهما ثم لم يدخل الجنة " (رواه مسلم). ورغم أنفه أي لصق بالتراب من الذل، وخسر خسرانًا كبيرًا، مَنْ أدرك والديه في الكبر ولم يقم برعايتهما وبرهمَا، حتى يدخل الجنة . فالمسلم يتزوج وينجب ويُكَوِّن الأسرة ويربى أبناءه ويرعى أهله ويبر والديه ، ويصل رحمه من أجل الثواب من الله وإشباع حاجاته الروحية.

الوظيفة الثانية - الإنجاب وتربية الأبناء :

The reproduction function:

وهذه الوظيفة مرتبطة بالوظيفة الأولى وهي إشباع حاجات الأفراد لأن الإنجاب وتربية الأطفال من الحاجات الأساسية عند الرجل والمرأة بعد الزواج ولاسيما في المجتمعات الإسلامية ، التي تحث على الزواج من أجل الإنجاب وتربية الأبناء الصالحين ، فقد قال رسول الله ﷺ : « **تزوجوا الودود الولود فانى مكاثر بكم الأمم يوم القيامة**» (رواه الإمام أحمد). وهذا ما يجعل المسلمين يقبلون على الزواج والإنجاب وتربية الأولاد . فمن دراسة على 1200 طالب وطالبة بجامعة الكويت، أشار 95٪ من الطلبة و98٪ من الطالبات إلى أن الزواج والإنجاب وتربية الأطفال أمنيتهم في الحياة (مرسى ، 1995).

ومع ما تعرضت له الأسرة من نقد ومعاداة في المجتمعات الغربية لا يزال معظم الشباب يتمنون الزواج من أجل بناء الأسرة والإنجاب وتربية الأطفال . ففي دراسة على 16524 شابًا في الولايات المتحدة الأمريكية أشار 82٪ من البنات و74٪ من الأولاد إلى أن الزواج وبناء الأسرة من أغلى أمانيهم في الحياة . وفي دراسة أخرى على 192248 شابًا في الولايات المتحدة الأمريكية أيضًا أشار 68٪ منهم إلى أن الزواج والإنجاب هما أساس الاستقرار في الحياة الأسرية (Duvall & Miller, 1985) .

والتنشئة الاجتماعية Socialization في الأسرة مرتبطة بوظيفة الإنجاب، ولا يمكن الفصل بينهما فإذا كان الإنجاب مرتبطًا بخلق الإنسان فإن التنشئة مرتبطة ببنائه وتكوينه النفسى والجسمى، حيث تتكون شخصية الإنسان في مرحلة الطفولة ، وتصقل في مرحلة المراهقة بتأثير خبرات التنشئة الاجتماعية في الأسرة ، والتي لا تعدلها خبرات في التأثير على تكوينه النفسى والجسمى في مراحل حياته جميعها . وبات علماء النفس مقتنعين بدرجة كبيرة أن حرمان الطفل من التنشئة الاجتماعية في أسرته

خسارة لا يمكن تعويضها من ناحية النمو النفسى والصحة النفسية، لعدم وجود مؤسسة اجتماعية أخرى، تستطيع القيام بالتنشئة الاجتماعية مثل الأسرة (Ingoldsly, 1995) .

وتأتى أهمية التنشئة الاجتماعية في الأسرة من حرص الوالدين على إكساب أبنائهما : الأدوار الاجتماعية وما هو متوقع منهم ومتوقع من الآخرين في ضوء العادات والتقاليد والقيم السائدة في المجتمع ، مما يسهم في حفظ ثقافة المجتمع . ونقلها من جيل إلى جيل ، ويساعد الأبناء على التوافق النفسى والاجتماعى في المجتمع، ولن يتحقق النضج النفسى والاجتماعى والانفعالى للأبناء إلا بالتنشئة الاجتماعية في الأسرة الصالحة (Duvall & Miller, 1985) (Muncie, et al., 2000) .

وقد حث الإسلام الأسرة المسلمة على القيام بوظيفتها في الإنجاب وتنشئة الأطفال، فقد جاء رجل إلى الرسول ﷺ فقال: وجدت امرأة ذات حُسْن وجمال وإنها لا تلد ، أفأتزوجها ؟ قال: لا. ثم أتاه الثانية فنهاه ، ثم أتاه الثالثة فقال : « **تزوجوا الودود الولود فأنى مكاثر بكم** » (رواه أبو داود والنسائى) . مما يعني أن المسلم يتزوج ويُكَوِّن الأسرة من أجل الإنجاب وتنشئة الأطفال، فالزواج في الإسلام وسيلة للإنجاب وتكوين الأسرة . ولا يمكن الفصل بين الزواج والإنجاب وتكوين الأسرة .

وقد أوجب الإسلام على الوالدين تنشئة أولادهما في الأسرة، وأعطاهما الولاية عليهم في النفس والمال والحضانة، والتي من مسئولياتها الرعاية والحماية والتأديب والتعليم حتى يرشدوا ، ويتزوجوا (أبو زهرة ، ب ت : 25) فقال تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَأَهۡلِيكُمۡ نَارٗا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلۡحِجَارَةُ ﴾ [التحريم: 6] وقال سيدنا على بن أبى طالب ﷺ في تفسير هذه الآية "علموهم وأدبوهم " وقال الحسن بن على ﷺ:"مروهم بطاعة الله وعلموهم الخير " (ابن القيم ، ب ت) وحث رسول الله ﷺ على تأديب الأولاد وتربيتهم فقال: " **ما نَحَلَ والد ولدًا أفضل**

من أدب حسن " (رواه الترمذى) وقال أيضا: **" مَنْ وُلد له ولد فليحسن اسمه وأدبه".**

وقد رغب الإسلام في تنشئة الأبناء من أجل تربية الولد الصالح (أو البنت الصالحة) لنفسه وأهله ومجتمعه ودينه ، وجعل هذا في ميزان حسنات الوالدين في الدنيا والآخرة ، فقال عليه الصلاة والسلام: «**إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث صدقة جارية أو علم ينتفع به أو ولد صالح يدعو له**» .

الوظيفة الثالثة - الرعاية والحماية والعلاج :

كل أسرة مسئولة عن رعاية أفرادها ولاسيما الصغار وكبار السن، فتوفر للصغار الرعاية والحماية حتى يكبروا ويرشدوا، ويحصلوا على عمل ويتزوجوا ويُكَوَّنُوا لهم أسرًا ، وتوفر لكبار السن من الأجداد والآباء والأقارب الحياة الإنسانية الكريمة التي ترحم ضعفهم ، وتشد من أزرهم ، وتحفظ كرامتهم، وتحميهم من اليأس والعجز والوحدة .

ومن الخطأ الاعتقاد أن الأسرة لرعاية الأطفال لأن أفراد الأسرة جميعهم في حاجة إلى الرعاية والحماية، التي تأتى في مقدمة اهتمامات الأسرة المسلمة ، فقد حث الإسلام الوالدين على رعاية أبنائهما، وأمر الأبناء برعاية آبائهم في الكبر ، وجعل النفقة على الأهل صدقة يثاب فاعلها. قال الرسول ﷺ « **دينار أنفقته في سبيل الله ، ودينار أنفقته في رقبة ، ودينار تصدقت به على مسكين ، ودينار أنفقته على أهلك ـ أعظمها أجرًا الذي أنفقته على أهلك** » (رواه مسلم). كما أمر ببر الوالدين، والإحسان إليهما . قال تعالى: ﴿ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا ۚ إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ ٱلْكِبَرَ أَحَدُهُمَآ أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ﴿٢٣﴾ وَٱخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ مِنَ ٱلرَّحْمَةِ وَقُل رَّبِّ ٱرْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِى صَغِيرًا ﴿٢٤﴾ ﴾ [الإسراء: 13 ،14]. ويتضمن الإحسان إلى الوالدين رعايتهما وحمايتهما وعلاجهما وحسن معاملتهما.

ويتفق كثير من علماء النفس في العصر الحديث على أن رعاية الإنسان في أسرته من أهم عوامل تنمية صحته الجسمية والنفسية، ولاسيما في مرحلتى الطفولة والشيخوخة ، ودعوا إلى رعاية الأطفال وكبار السن في أسرهم ، وعدم إبعادهم عنها إلى دور الرعاية أو منتجعات المسنين إلا عند الضرورة، وعابوا على المجتمعات الغربية إهمالها لرعاية " كبار السن" في الأسرة ، وعدوا رعاية الأبناء لآبائهم في الأسرة " دَيْن على الأسرة " يدفعه الأبناء للآباء من أجل السلام الاجتماعى (Duvall & Miller, 1985, Pearsall, 1990) .

وتتضمن وظيفة الرعاية حماية أفراد الأسرة من الانحرافات والأمراض، وعلاج انحرافاتهم وأمراضهم، ومساعدتهم في التغلب على الأزمات والمشكلات، والاستفادة من الخدمات الوقائية والعلاجية التي تقدمها المستشفيات والمستوصفات والعيادات والمراكز الطبية والاجتماعية والنفسية والتربوية وغيرها من المؤسسات التي ينشئها المجتمع لمساعدة الأسرة في القيام بوظيفتها في " الرعاية والوقاية والعلاج" . ولا يعني وجود هذه المؤسسات أن الأسرة قد تخلت عن هذه الوظيفة للمستشفيات أو المستوصفات، لأن الأسرة تظل مسئولة عن ذهاب المريض إلى المستشفي ومتابعة العلاج حتى يتم الشفاء، أو يتغلب على الأزمات، ولا تتم رعاية المريض وعلاجه في المستشفى أو خارجها إلا بجهود أسرته في الرعاية والوقاية والعلاج.

الوظيفة الرابعة -التعليم :

ويقصد به تعليم الأبناء الخبرات والمهارات والمعلومات والمعارف، التي تُناسب قدرَاتهم وميولهم، وتناسب جيلهم وزمانهم، وتعدهم للحياة راشدين معتمدين على أنفسهم . ومع أن هذه الوظيفة هدف أساسي من أهداف التنشئة الاجتماعية في الأسرة إلا أننا نناقشها، ونعدها وظيفة

مستقلة لإبراز أهميتها، وأهمية الدور الذي تقوم به الأسرة في تعليم أبنائها في المدارس والجامعات ومراكز التدريب والتأهيل المهنى وغيرها .

فكل أسرة مسئولة عن تعليم أبنائها العلم النافع والعمل الصالح، حتى يكتسبوا المهارات والخبرات والمعلومات، التي تجعلهم مواطنين صالحين لأنفسهم ومجتمعهم وعقيدتهم ، فيحصلون على العمل ويتزوجون ويُكَوِّنون الأسرة، ويعيشون زمانهم مسلحين بالعلم والعمل والإيمان .

وعلى الأسرة أن تستفيد من المؤسسات التعليمية والمهنية المتخصصة، التي أنشأها المجتمع من أجل تعليم العلم النافع أو التدريب المهنى أو التأهيل الاجتماعى وغيرها ، فتلحق أبناءها بالمدارس والجامعات والمعاهد ومراكز التدريب ، وتتابعهم فيها ، وتساعدهم في التغلب على الصعوبات حتى يحققوا النجاح ، ويكتسبوا المعلومات والمهارات والخبرات التي تفيدهم في بناء شخصياتهم ، وفي التوافق مع الحياة ، وفي الحصول على عمل. ولا يعني قيام المدارس ومعاهد التدريب والجامعات بالتعليم أن الأسرة تنازلت لهذه المؤسسات عن وظيفتها في تعليم أبنائها؛ لأن الأسرة هي المسئول الأول عن اختيار التعليم المناسب لأبنائها ، ومتابعة تحصيلهم الدراسى ، وعلاج الصعوبات التي تواجههم . وبدون تعاون الأسرة مع المدرسة لا يتحقق النجاح في التعليم ، الذي له ثلاثة أبعاد ، هي: الطالب ، والمدرسة ، والأسرة . وتقع على الأسرة المسئولية الكبيرة في التعليم لأنها هي التي تدفع الطالب إلى التعلم، وتهيئ له الظروف المناسبة لذلك ، وتسعد بنجاحه وتحزن لفشله . وهذا ما يجعلنا نؤيد مَنْ يقولون أن وجود المدارس والجامعات والمعاهد لم يضعف من دور الأسرة في تعليم أبنائها ، بل زاد من مسئوليتها ، وجعل وظيفة التعليم من الوظائف الأساسية في الأسرة المعاصرة .

والوظيفة التعليمية The educational function من أهم وظائف الأسرة المسلمة؛ لأن الإسلام أمر بالعلم والتعلم والتعليم، وأمر ولي الأمر

في الأسرة بتعليم أولاده . (أبو زهرة ، ب ت: 25) فقد قال رسول الله ﷺ : « **طلب العلم فريضة على كل مسلم ومسلمة** » . وقال: « **مَن سلك طريقًا التمس فيه علمًا سهل الله له به طريقًا إلى الجنة** » . (رواه مسلم) وقال: «**تعلموا العلم فإن تعلمه لله خشية، وطلبه عبادة ، ومذاكرته تسبيح ، والبحث عنه جهاد ، وتعليمه لمن لا يعلمه صدقة ومدارسته تعدل القيام ، به توصل الأرحام ، وبه يعرف الحلال من الحرام ، وهو إمام العمل** » (من حديث رواه ابن عبد البر) وهذا ما يجعل الأسرة المسلمة حريصة على تعليم أبنائها ، وحثهم على طلبه في أي مكان أو زمان . ويأثم الآباء والأمهات إذا أهملوا في تعليم أبنائهم، أو تقاعسوا عن إلحاقهم بالمدارس والمعاهد والجامعات وهم ـ أي الآباء ـ قادرون على ذلك ومسئولون أمام الله عن تعليم أبنائهم العلم النافع .

الوظيفة الخامسة - الوظيفة الدينية: Religious function:

ويقصد بها تعليم الدين للأبناء وعبادة الله في رعاية الأسرة . فقد جعل الإسلامُ الأسرةَ مكانًا لعبادةِ الله ، وحث على القيام بالواجبات الأسرية ابتغاء مرضاة الله تعالى ، فجعل الزواج الذي تقوم عليه الأسرة نصف الدين ، وجعل طاعة الزوجة لزوجها تعدل الجهاد في سبيل الله ، وجعل إنفاق الزوج على زوجته أفضل من الإنفاق في سبيل الله ، وجعل بر الوالدين وصلة الرحم من الأعمال التي توصل إلى الجنة ، وجعل تربية الولد الصالح من العبادات التي ترفع درجة الوالدين في الآخرة . قال رسول الله ﷺ : « **إن العبدَ لترفع له درجة فيقول: أي ربِّ أنَّى لي هذا ، فيقول باستغفار ولدك لك من بعدك** » (رواه ابن ماجة) وقال: « **إذا ماتَ ابنُ آدم انقطع عمله إلا من ثلاث : صدقة جارية أو علم ينتفع به أو ولد صالح يدعو له** » (رواه مسلم).

كما تقوم الأسرة بوظيفتها الدينية في المحافظة على دينها من خلال تعليمه لأبنائها، وتربيتهم عليه. قال عليه الصلاة والسلام: « **ما من مولود**

يولد على الفطرة فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه » (رواه البخارى) . فالوالدان يعلمان أبناءهما معتقداتهما الدينية في الطفولة والمراهقة، فينشأون على دين آبائهم . وهذه وظيفة أساسية للأسرة التي تدرب الصغار على العبادات والمعاملات ، وتشجعهم على التمسك بمعتقداتها ، وتنمى عندهم الوازع الديني وفق هذه المعتقدات . وإذا لم يتعلم الطفل دينه في الأسرة، فلن يجد مكانًا أفضل منها يعلمه إياه (Ingoldsly, 1995:87).

وقد حثَّ الإسلامُ الأسرةَ المسلمةَ على القيام بوظيفتها في التربية الدينية، فأمر الوالدين بتعليم أبنائهما العبادات والمعاملات الإسلامية حتى ينشأوا صالحين . فقال الله تعالى: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَأَهۡلِيكُمۡ نَارٗا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلۡحِجَارَةُ ﴾ [التحريم: 6] وقال الرسول ﷺ: « **مُروا أولاَدكم بالصلاةِ لسبع سنين ، واضربوهم عليها لعشر سنين ، وفرقوا بينهم في المضاجع** » (رواه البخارى) وقال : «**أدبوا أولادكم على ثلاث خصال : حب نبيكم ، وحب آل بيته ، وتلاوة القرآن . فإنَّ حملةَ القرآن في ظل عرش الله يوم لا ظل إلا ظله مع أنبيائه وأصفيائه** » (رواه الطبرانى) .

وتستعينُ الأسرةُ في القيام بوظيفتها الدينية بالمساجد ومراكز تحفيظ القرآن، وحضور جلسات العلم والذكر، وسؤال العلماء . فالأسرة مسئولية عن استفادة أفرادها من المؤسسات الدينية في المجتمع، لتعريفهم بأمور دينهم، وتنشئتهم على الإسلام ومبادئه ومعتقداته، ولا يمكن أن تتخلى الأسرة المسلمة عن هذه الوظيفة لا في الحاضر، ولا في المستقبل، ما دامت ـ أي الأسرة ـ تؤمن بالله ربًا وبمحمد رسولًا وبالإسلام دينًا ، لأن الأسرة المسلمة يحكمُها تشريع سماوي ثابت، يجعلُ الوظيفة الدينية في مقدمة مسئولياتها نحو أفرادها .

الوظيفة السادسة - العمل في كسب الرزق:

ويقصدُ به عمل أفراد الأسرة القادرين على العمل في كسب أرزاقهم :

وهي وظيفة وسيلية تهدف إلى توظيف قدرات وإمكانات أفراد الأسرة في العمل والإنتاج، من أجل كسب الرزق والإنفاق على معيشة الأسرة وتوفير حاجات أفرادها . فالأسرة مصدر العمالة في المجتمع وكل عامل أو موظف له أسرة يعمل من أجلها ، ولا يمكن أن تتخلى الأسرة عن هذه الوظيفة .

وتعتمد الأسرة عادة في كسب رزقها على ممتلكات الزوج أو الأب وجهوده في العمل خارج البيت . فالزوج أو الأب هو مصدر الإعالة والسلطة في الأسرة (Feldman, 1982; Click, 1989) لاسيما الأسرة المسلمة التي يتحملُ فيها الرجلُ مسئوليةَ الإنفاق حتى ولو كانت المرأة ذات مال أو تعمل خارج البيت . فالكسب والإنفاق على معيشةِ الأسرة من مسئوليات الرجل الذي أوجب الإسلام عليه مسئوليات القوامة والإنفاق. قال تعالى: ﴿ ٱلرِّجَالُ قَوَّٰمُونَ عَلَى ٱلنِّسَآءِ بِمَا فَضَّلَ ٱللَّهُ بَعۡضَهُمۡ عَلَىٰ بَعۡضٖ وَبِمَآ أَنفَقُواْ مِنۡ أَمۡوَٰلِهِمۡ ﴾ [النساء: 34] . وقال أيضًا: ﴿ وَعَلَى ٱلۡمَوۡلُودِ لَهُۥ رِزۡقُهُنَّ وَكِسۡوَتُهُنَّ بِٱلۡمَعۡرُوفِۚ لَا تُكَلَّفُ نَفۡسٌ إِلَّا وُسۡعَهَا ﴾ [البقرة:233] أي على الزوج أو الأب أن ينفق على زوجته وأولاده بقدر استطاعته .

وتتعاون الزوجة مع الزوج في كسب الرزق والإنفاق على الأسرة بجهدها في الأعمال المنزلية ورعاية الأبناء والزوج، وبمالها إن كانت ذات مال وبراتبها إن كانت تعمل خارج البيت ، وبتدبير مصادر الدخل والإنفاق في الأسرة، فدور الزوجة كبير في الكسب والإنفاق وتصريف أمور الأسرة المالية .

كما يتعاون باقي أفراد الأسرة القادرين على العمل والكسب في الإنفاق وتوفير حاجات المعيشة ، ورفع مستواها ، وتحقيق الأمن الاقتصادى للأفراد الصغار والكبار جميعهم ، حيث تمتد مسئولية الأسرة في الإنفاق على أبنائها من الطفولة والمراهقة حتى يتأهلوا للعمل والزواج ، وفي بعض الحالات يستمر إنفاق الوالدين على أبنائهما حتى بعد الزواج ، وفي حالات

أخرى قد يتحمل الأبناء في سن مبكر مسئولية الإنفاق على والديهم وأقاربهم في الكبر والعجز عن العمل وعند الحاجة والعوز.

وقد أمر الإسلام الرجال بالإنفاق على الأسرة، وجعله جهادًا في سبيل الله . فقد مر رسول الله ﷺ على رجل ، فرأي الصحابة من قوته وجلده . فقالوا : يا رسول الله ، لو كان هذا في سبيل الله . فقال ﷺ : إن كان خرجَ يسعى على ولدة صغار فهو في سبيل الله، وإن كان خرج يسعى على أبوين شيخين كبيرين فهو في سبيل الله، وإن كان خرجَ يسعى على نفسِه يَعِفُّها فهو في سبيل الله، وإن كان خرج يسعى رياءً ومفاخرةً فهو في سبيل الشيطان " (رواه البخارى) .

وتعد الوظيفة الاقتصادية للأسرة هامة بالنسبة للفرد والأسرة والمجتمع، حيث يعمل الفرد القادر على العمل ليشبع حاجته للإنجاز والنجاح والتفوق والشعور بالكفاءة، ويعول نفسه وينفق على أسرته، ويسهم في تنمية اقتصاديات المجتمع . وهذا يعني أن الوظيفة الاقتصادية للأسرة لا تزال قوية ولم تضعف ولن تضعف ؛ لأن الأسرة تربى الأجيال التي تبنى المجتمع ، وتنمى اقتصاده . ويخطئ مَنْ يعتقد أن الأسرةَ المعاصرة قد فقدت وظيفتها الاقتصادية؛ لأنها ـ كما يقولون ـ لم تعد وحدة إنتاجية، وأصبحت وحدة استهلاكية . فالأسرة على مرِّ العصور وحدة إنتاجية سواء لحسابها أو لحساب غيرها.

الوظيفة السابعة - الترويح وشغل أوقات الفراغ :

ويقصد به الترويح عن أفراد الأسرة حيث تنقسم الأنشطة في الأسرة إلى قسمينِ: أنشطة وسيلية Instrumental activities لكسب الرزق والتعليم وأداء الواجبات التي يقوم بها الإنسان ، سواء رضي بها أو لم يرضَ ، وأنشطة تعبيرية Expressive activities يقوم بها الإنسان بإرادته واختياره ، للتعبير عن نفسه ومشاعره وميوله ، ويؤديها للترويح عن نفسِه والمرح والراحة والاسترخاء وإبعاد

الملل (مرسى ، 2000 : 167).

ولا تَقِلُّ وظيفةُ الترويح Recreational function في الأهمية عن وظيفة التعليم؛ لأن الترويحَ عن النفس ضروري في عملية التنشئة الاجتماعية وبناء الشخصية واكتساب السلوك المقبول ، وتنمية المهارات والميول ، وإبعاد الملل عن النفوس، وتجديد النشاط والحيوية . فالنفس تسأم بطول الجد ، والقلوب تمل كما تمل الأبدان ، ولا بد من الترويح والترفيه المباح في الأسرة (مرسى : 2000 : 168).

وقد دعا الإسلام إلى الترويح عن أفراد الأسرة، فعن عائشة (رضي الله عنها) قالت: كنت ألعب بالبنات (أي العرائس) ، وكان النبي يأتي بصواحبي يلعبن معي، وكان يقول: ليعلم اليهود أن في ديننا فسحة . إني بعثت بحنفية سمحة " (رواه أحمد) ودعا الرسول ﷺ إلى الترويح عن النفس لإزالة الهموم والتوتر والملل فقال ﷺ: « **ما على أحدكم إذا ألح به همه أن يتقلد قوسه فينفي به همه**» (رواه الطبراني) أي يمارس رياضة القوس حتى يزيل همومه.

ويتضمن الترويح المباح في الأسرة المرح بالمزاح البريء ، والحركات الظريفة ، والمداعبات اللطيفة والنكات المهذبة ، والابتسامات المتبادلة ، والضحك في أنشطة مرحة ، يمارسها أفراد الأسرة معًا في جلسات عائلية . فالمرح في الأسرة ضروري للصحة والسلامة وتنمية العلاقات الاجتماعية ، ويكوِّن مع التغذية الجيدة والهدوء ثلاث ركائز هامة للصحة العامة في الأسرة (مرسى ، 2000 : 169).

كما يتضمنُ الترويحُ المباحُ في الأسرةِ الاشتراك في الأنشطةِ الرياضية والثقافية والحفلات والرحلات والندوات والزيارات وممارسة الهوايات والذهاب إلى الحدائق والشواطئ والأندية ، وعلى الأسرة أن تنظم أنشطة الترويح ، وتستفيد من مراكزها الجادة ، وتحمي أفرادها من مراكز الترويح السيئة ، ومن قرناء السوء الذين يلهون في أنشطة محرمة أو أنشطة تافهة .

الوظيفة الثامنة - حفظ الأخلاق في المجتمع :

ويقصد به تعليم الأبناء الأخلاق الفاضلة ، وتوفير وسيلة مشروعة للإشباع الجنسي، تحفظ كرامة الرجل والمرأة، وتحمي المجتمع من الفساد. فكل أسرة مسئولة عن تربية أبنائها على الأخلاق الحسنة، والتحلي بالقيم الفاضلة ، واكتساب السلوك المقبول اجتماعيًا. وتعد هذه الوظيفة من أهم الوظائف التي تؤديها الأسرة للمجتمع ، فالأخلاق هي أساسُ الحياةِ الاجتماعية . وقد وصفَ الإسلامُ الأمةَ الإسلامية بأنها خير أمه أخرجت للناس، بسبب حفظ الأخلاق في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، ومعاملة الناس بخلق حسن . فقال تعالى : ﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ ﴾ [آل عمران: 110] .

وانتشر الإسلام في كثير من المجتمعات الأسيوية والأفريقية بسبب الأخلاق التي نشأ التجار المسلمون عليها في أسرهم المسلمة ، ومعاملتهم الناس في هذه المجتمعات بخُلُق حسن . وقد عبر أحمد شوقى عن دور الأخلاق في بناء المجتمع فقال : **إنما الأمم الأخلاق ما بقيت .: فإن همو ذهبت أخلاقهم ذهبوا** .

وقد أرجع كثيرٌ من علماء النفس الحديث مشكلات المجتمعات الغربية إلى تدهور الأخلاق فيها ، بسبب تدهور الحياة الأسرية والتمرد على الزواج وتناقص دور الأسرة في هذه المجتمعات ، ولن يحميَها من هذا السمِّ القاتل إلا إذا عادت الأسرة إلى مجدها الذي فقدته، وقامت بوظيفتها الأخلاقية . فالأخلاق لا تربى إلا في الأسرة التي تقوم على الزواج الشرعى (Fletcher, 1988:5).

ويستفيد الفرد والأسرة من حفظ الأخلاق في المجتمع ، لأن الفرد حَسَنُ الأخلاقِ نشأَ في أسرةٍ تصونُ الأخلاقَ الفاضلةَ ، وَتَعلَّم منها حُسْن الخلق، الذي يجعله في أمن وسلام مع نفسِه والناسُ، ومتمتعًا بصحة نفسية. فهو ـ كما يقولُ الإمام أبو حامد الغزالى: " يحب لأخيه ما يحب لنفسه ، ويكرم ضيفه ، ويحفظ جاره، ولا يؤذى أحدًا ، ولا يروع الناس ، ولا يُفْشِي على أخيه ما يكره ، ولا يخشى

في الله لومة لائم ، يقول الحق ولو على نفسه أو الوالدين والأقربين ، يحب العمل ويخلص فيما بينه وبين الله، وفيما بينه وبين الناس ، (الغزالى ، 1967 : 69).

وتقوم الأسرة بوظيفتها الأخلاقية من خلال ضبط سلوك أبنائها، وتعليمهم الصح والخطأ، والحلال والحرام ، والخير والشر ، وحثهم على الخير والحلال والصواب ، ومنعهم من الشر والحرام والخطأ ، وتهيئة الظروف المناسبة لاكتساب السلوك المقبول وتنمية الأخلاق الحسنة ، وتنمية القيم والاتجاهات الإيجابية نحو الخير فيقبلون عليه ، وتنمية الاتجاهات السلبية نحو الشرِّ فيبتعدون عنه، وينفرونَ منه (Duvall & Miller, 1985:9).

وتستخدمُ الأسرةُ في القيام بوظيفِتها الأخلاقية أساليب الثواب والعقاب والقدوة الحسنة والتبصير، والإقناع بفوائدِ الخير وأضرار الشر . فكلُّ أسرةٍ تشجِّعُ وتمدح وتثني وتأمر بالفضائلِ والإكثار منها ، وتؤنب وتنهي وتعاقب على القبائح وتحث على الابتعادِ عنها.

وإذا فشلت الأسرةُ في تعليمِ أبنائها الصحَّ والخطأ والأخلاق الفاضلة والحلال والحرام ، فمن الصعبِ أن يتعلموها في أيِّ مكان آخر بنفس الكفاءة التي تتحقِّقُ بتعلمِها في الأسرةِ . فخبرات الثواب والعقاب والقدوة الحسنة التي يتعرضُ لها الطفلُ في الأسرةِ تشكل ضميره ، وتنمي قيمه التي تحكم سلوكه وتضبط انفعالاته ، وتدفعه إلى احترام الآخرين ومشاعرهم وفِكرهم وممتلكاتهم (Andeline, 1981, Duvall & Miller, 1985).

والوظيفة الأخلاقية من أهم وظائف الأسرة المسلمة فقد عظم الإسلام حسن الخلق ودعا إليه. فقال الله تعالى في الثناء على الرسول: ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾ [القلم: 4] وربط الرسول ﷺ بين الإيمان وحسن الخلق فقال: « **أكمل المؤمنين إيمانًا أحسنهم أخلاقًا وخياركم خياركم لنسائهم** » (رواه الترمذى) . وأمر ﷺ المسلمين بتأديب أبنائهم وتعويدهم على حسن الخلق، فقال " أكرموا أولادكم وأحسنوا أدبهم، فإن أولادكم هدية لكم" (رواه ابن ماجه) .

وهذا ما يجعل الوظيفة الأخلاقية في مقدمة اهتمامات الأسرة المسلمة في الماضى والحاضر والمستقبل ، ويجعلنا مقتنعين بأن حفظ الأخلاق من أهم المسئوليات التي تقوم بها الأسرة . ويتفق معنا الكثير من علماء النفس والاجتماع في الغرب ، فهذا أوجست كومت يدعو إلى جعل الوظيفة الأخلاقية في مقدمة وظائف الأسرة ، ويربط إدوارد روجرز مشكلات المجتمع الغربى بتدهور الأخلاق ، التي ترتبط بتدهور الأسرة المعاصرة في الغرب (Fletcher, 1985)

كما تقوم الأسرة بوظيفتها في حفظ الأخلاق في المجتمع من خلال الزواج الرسمى، الذي يجعل الممارسة الجنسية بين الزوجين ممارسة مشروعة تؤلف بينهما ، وتحقق لهما الإشباع الجنسى العفيف، الذي يحميهما من الانحراف ، ويحمى المجتمع من الرذيلة، ومن مشكلات اجتماعية وصحية ونفسية كثيرة ، تسببها ممارسة الجنس بدون زواج . لذا حث الإسلام على الزواج وحرم التبتل والزهد في الزواج أو الانصراف عنه، فقال رسول الله ﷺ : « **يا معشر الشباب ، من استطاع منكم الباءة فليتزوج فإنه أغض للبصر وأحصن للفرج** » (من حديث رواه الجماعة). وقد أدركَ كثير من علماء النفس والاجتماع دور الزواج في حفظ الأخلاق، فأشار أوجست كومت إلى أن الزواج استعداد فطرى عند الرجل والمرأة ، وأساس بناء الأسرة والمجتمع ، وأي عامل يُضعف هذا النظام أو يقلل من شأنه، فهو عامل هدم وتخريب في المجتمع لأن فيه فساد الأخلاق .

الوظيفة التاسعة - المساندة الاجتماعية الأسرية

Family Social Support

ويقصدُ بها مساندة الأسرة لأفرادها، وتوفير الأمن والمودة والحب، واستمرار مشاعر الصداقة مدة طويلة . فالحياة الأسرية مصدر الحب والصحبة الطيبة والمشاعر الصادقة في مواقف السراء والضراء ، ففي السراءِ تشاركُ الأسرةُ الفرد أفراحه، فيزداد فرحًا وسرورًا ، وفي الضراء يواسونه، ويخففون عنه، فيزداد صبرًا وتحملًا، مما يجعل المساندة وظيفة أساسية في تنمية الصحة النفسية وفي الوقاية من الانحرافات النفسية .

والمساندة الأسرية أقوى مساندة اجتماعية يحصل عليها الإنسان في مواقف السراء والضراء؛ لأن أهل الفرد يعدون أفراحه أفراحًا لهم ، وإحباطاته ومصائبه وأزماته مصائب وأزمات قد حلت بهم جميعًا ، مما يجعل مساندتهم له مساندة صادقة نموذجية لا مثيل لها ، لا يحصل عليها من أية جماعة أخرى.

وتقوم المساندة الأسرية على الحب والتضحية والإخلاص في تقديم المساعدة من غير شروط وبدون مقابل ، وتجعل الأسرة كالجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له باقي الأعضاء بالسهر والحمى ، أو كالبنيان المرصوص يشد بعضه بعضًا . فالأسرة هي المكان الذي يشعرُ فيه الإنسان بالحبِّ المتبادل والمساندة الصادقة من أهله وأقاربه (Duvall & Miller, 1985:9)

وتحرِصُ كلُّ أسرة لاسيما الأسرة المسلمة على مساندة أفرادها ومعاونتهم في السراء والضراء، فقد حث الإسلام على هذه الوظيفة، فجعل الزوج لباسًا لزوجته، والزوجة لباسًا لزوجها، فقال تعالى: ﴿ هُنَّ لِبَاسٌ لَّكُمْ وَأَنتُمْ لِبَاسٌ لَّهُنَّ ﴾ [البقرة: 187]، وأقام الزواج على المودة والرحمة والسكن، فقال تعالى: ﴿ وَمِنْ ءَايَـٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا لِّتَسْكُنُوٓا۟ إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً ﴾ [الروم: 21] .

كما حث الإسلام الآباء على مساندة أبنائهم ، وحث الأبناء على مساندة آبائهم وحث أولى الأرحام على مساندة بعضهم بعضًا ، فقال تعالى للآباء : ﴿ قُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا ﴾ [التحريم: 6] وقال تعالى للأبناء : ﴿ إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ ٱلْكِبَرَ أَحَدُهُمَآ أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ﴿٢٣﴾ ﴾ [الإسراء: 23]. وقال تعالى لأولى الأرحام : ﴿ وَأُو۟لُوا۟ ٱلْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِى كِتَـٰبِ ﴾ [الأنفال: 75] .

وتقدم الأسرة (المساندة الاجتماعية) بأربعة أشكال رئيسية نلخصها في الآتى :

1- المساندة الوجدانية Emotional Support: وهي مساندة نفسية يحصل

عليها الفرد من أسرته، من خلال إدراكه لمشاركة والديه وإخوانه وأهله له أفراحه وأحزانه، وتعاطفهم معه وإحساسهم بمشاعره في الفرح والحزن ، ووقوفهم معه واهتمامهم بأمره، فيزداد ثقة بنفسه وبأهله ، ويزداد فرحًا في السراء ويزداد صبرًا وتحملًا في الضراء بوجود أهله من حوله . فالأسرة هي المكان الذي يشعر فيه كل إنسان بالأمن والطمأنينة والتقبل من أهله (Duvall & Miller, 1985:9).

2- المساندة المعنوية Appraisal support:وهي مساندة نفسية أيضًا يجدها الفرد من أفراد أسرته في كلمات التهانى والثناء والمديح التي يسمعها منهم في مواقف السراء، وعبارات المواساة والشفقة والتشجيع والدعاء له في مواقف الضراء. حيث يلمس في تهانى أهله له الاستحسان والتقدير والتقبل والاعتزاز ، ويجد في مواساتهم له التخفيف من مشاعر التوتر والقلق والذنب مما يساعده على التفاؤل والرضا بقضاء الله ، ويخرج من التأزم بسلام ، وتذهب عنه أعراض ما بعد الصدمة PTSD دون أن تؤثرَ فيه نفسيًا وجسميًا.

3- المساندة التبصيرية Information support:وهي مساندة نفسية تقوم على تقديم النصيحة والإرشاد ، وتقديم المعلومات التي تساعد الفرد على فهم الموقف بموضوعية وواقعية ، وتجعله على بصيرة بعوامل الفشل أو النجاح ، فيزداد قدرة على مواصلة النجاح ، ويقوى على مواجهةِ الإحباط وحل الصراع ، لأنَّ نصيحةَ الأهل صادقة ولا تنقص من قدره شيئًا ، فيقبلها بصدر رحب ونفس راضية .

4- المساندة المادية أو العملية Instrumental support:وهي مساندة عينية تقوم الأسرة بها لأفرادها ، فتساعدهم بالمال والجهد والوقت في مواقف السراء والضراء . ومن المساندات المادية الشائعة في مجتمعاتنا الإسلامية مساندة الأسرة لأبنائها في الزواج، فيدفع الأب المهر لابنه ، وقد يشترى له الشقة أو البيت ، وقد تقدم الأم بعض مجوهراتها لأبنتها في زواجها ، ناهيك عن الجهد والوقت والمال التي يبذلها أفراد الأسرة جميعهم في الإعداد للفرح واستقبال المهنئين، فالفرح فرح الأسرة كلها .

ومن هذه المساندات أيضًا دفع الابن نفقات الحج لوالديه ، وفرحهما بالحج على نفقة ابنهما ، ودفع الأخ ديون أخيه المعسر ليقيل عثرته ويأخذ بيده ، ومساعدة الزوجة لزوجها بمالها وجهدها في وقت الشدة ، وإنفاق الأخ على أخته المطلقة أو الأرملة وأولادها وكأنهم أولاده . فهذه المساندات لا تقدم إلا في الأسرة ، ولا تقبل إلا من الأهل ؛ لأن الناس تعارفوا على مساعدة الأخ لأخيه وقت الشدة .

الوظيفة العاشرة - تحديد المكانة الاجتماعية وإعطاء الحياة معنى أو قيمة :

ويقصد بها اكتساب الفرد مكانته الاجتماعية من مكانة الأسرة، التي ينشأ فيها في الطفولة والمراهقة ، ومن مكانة الأسرة التي يُنْشئها لنفسه، ويعيشُ من أجلها في مرحلتى الرشد والشيخوخة . فكل طفل أو مراهق يكتسب مكانته الاجتماعية من مكانة أسرته الاجتماعية والثقافية والاقتصادية ، ويسعدُ بانتمائه إليها ، وينعم بالأمن والأمان مع والديه وإخوانه وأهله . أما الراشد فيستمد مكانته الاجتماعية من مكانة الأسرة التي يُكَوِّنها لنفسه، ويتحمل مسئولية رعايتها وإعالتها . فعندما يتزوج الرجل أو المرأة ويكون أسرة، ترتفع مكانته الاجتماعية في المجتمع ، لأن كل مجتمع مسلم أو غير مسلم، يتوقع من أبنائه عندما يرشدون تحقيق ستة إنجازات أو أهداف رئيسة هي : العمل وكسب الرزق والزواج وتكوين الأسرة والإنجاب وتربية الأبناء . ومن يحقق هذه التوقعات يحظى باحترام المجتمع، وتقديره بقدر أفضل مما يحظى به قرينه، الذي لا عمل له أو لا زوجة أو لا أسرة له .

كما أن انتماء الإنسان لأسرة يعطى حياته معنى وقيمة، لا يجدها في غير الأسرة. فحبُّ الأهل له وحرصهم عليه يجعله يدرك أن له قيمة وأهمية ، فيحب نفسه ويحترمها ، ويعطيها القيمة نفسها التي وجدها في حب أهله له . وإذا أحب الإنسان نفسه، يُحب أهله مصدر حبه لنفسه، ويحرص عليهم ، ويدرك قيمتهم وأهميتهم في حياته ، ويعمم هذا الحب على الآخرين فينشأ آلفًا ومألوفًا من الناس في المجتمع.

ومن خلال إدراك الإنسان لقيمة نفسه وقيمة أهله يجد لحياته معنى ، ولسعيه في الدنيا أهمية ، ويدفعه إلى الجد والاجتهاد وتحمل المشاق ، والصبر في الضراء والشكر

في السراء . وهذا ما نجده في مراحل حياة الإنسان جميعها، فالطفل أو المراهق الذي ينتمي إلى أسرة يحب أفرادها ويحبونه، يجد لحياته معنى وأهمية عند أهله ، فيحافظ على نفسه ، ويجتهد في الدراسة لإرضاءِ ربِّه ونفسه وأهله ، ويجد في النجاح كفاءة في النفس واستحسانًا من الأهل . وهذا ما يجعل لحياته هدفًا ولاجتهاده قيمةً، لا يجدها الطفل أو المراهق الذي حُرم نعمة الحياة الأسرية ولم يجد الأهل الذين يحبهم ويحبونه، ويقدرهم ويقدرونه (Duvall & Miller, 1985:9).

والراشد الذي له أسرة وزوجة وأولاد يعيشُ من أجلهم ويسعد بصحبتهم ، ويفرح بوجودهم حوله ، ويستمتع بأولاده وهم يكبرون ويرشدون ، يجد فيهم هدفًا متجددًا لحياته ، يسعى من أجله ، ويعطى لحياته معنى أو قيمة لا يحصلُ عليهما الراشد الذي لا زوجة له ولا أولاد، فيشعر بالوحدة ويتعرض للاكتئاب والاضطرابات النفسية ، وتزداد حالته سوءًا كلما تقدم في السن وحيدًا ضعيفًا لا سند له ولا أنيس(Duvall & Miller, 1985) .

فوظيفة الأسرة في " تحديد المكانة الاجتماعية لأفرادها وإعطاء حياتهم معنى أو قيمة " من أهم الوظائف التي تسهم في تنمية الصحة النفسية للفرد، وتحميه من الانحراف والاضطراب النفسي . فالفرد الذي يجد هدفًا لنفسه يعيش من أجله يدرك قيمة حياته ، ويجد لسعيه معنى ، فيحافظ على حياته، ويجتهد في تزكية نفسه ، والارتقاء بها ، وحمايتها من الانحراف ، لأن الحياة جديرة بأن يعيشها ، ويعمل من أجلها . فالأسرة هدفه والأولاد زينة الحياة الدنيا . قال تعالى : ﴿ ٱلۡمَالُ وَٱلۡبَنُونَ زِينَةُ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا ﴾ [الكهف: 46] .

أما مَن ليس له أسرة ينتمى إليها أو يعولها ، فإنه يعيش في ضياع وقلق لعدم وجود هدف له، يستحق أن يعيشَ من أجله ، فلا يحرص على تزكية نفسه وقد يُلْقى بها إلى التهلكة في الإجرام أو الإدمان أو الاضطراب ، لأنه يعيش حالة نفسية يسميها فرانكل F. Frankle " الفراغ النفسى " أو قلق الوجود " يختل معها تفكير الفرد ومشاعره نحو نفسه والناس، ويعيش في يأس وضياع وسخط وتشاؤم ، وقد

يدفعه عدم وجود هدف إلى الانحراف أو إلى العبث واللهو التافه أو الفاسد أو إلى الجنون والإدمان والاضطراب النفسى (مرسى ، 2000 : 132) لأنه يعيش بلا هدف، ولا يجد لحياته قيمة عندَ نفسِه ولا عند الآخرين.

وتزدادُ أهمية " وظيفة إعطاء المكانة الاجتماعية ومعنى الحياة " في الأسرة المسلمة لأن الزواجَ في الإسلام عبادة لله . فقال رسول الله ﷺ « **إذا تزوج العبد فقد استكمل نصف دينه فليتق الله في النصف الآخر**» (رواه البيهقى). وقد حث الإسلام على الزواج وتكوين الأسرة، وحرَّم الانصراف عنه مع القدرة عليه، لأن الزواج من سنن الإسلام المؤكدة . فقد قال رسول الله ﷺ لعكاف بن وداعه الهلالى : « **ألك زوجة يا عكاف**؟ قال : لا . قال عليه السلام : **ولا جارية** ؟ قال : ولا جارية . قال: **وأنت صحيح موسر** ؟ قال : نعم والحمد لله . قال عليه السلام : **فأنت إذن من إخوان الشياطين . إما أن تكون من رهبان النصارى فأنت منهم ، وإما أن تكون منا فاصنع كما نصنع وإن من سنتنا النكاح ، وشراركم عزابكم وأراذل موتاكم عزابكم، ويحك تزوج يا عكاف**» (رواه أبى يعلى).

فالزواجُ في الإسلامِ خيرُ متاع الدنيا بعدَ تقوى الله، فقد قال رسول الله ﷺ : «**الدنيا متاعٌ وخيرُ متاعِ الدنيا المرأة الصالحة**» (رواه مسلم) وقال : « **ما استفاد المؤمن بعدَ تقوى الله عزَّ وجلَّ خيرًا من زوجة صالحة إن أمرها أطاعته وإن نظرَ إليها سرته وإن أقسمَ عليها أبرته وإن غابَ عنها حفظته في نفسها وماله** » (رواه ابن ماجة)

ولمكانةِ الزواج والأسرة والإنجاب في حياةِ المسلم والمسلمة كان دعاء عباد الرحمن: ﴿رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا﴾ [الفرقان: 7] فبالزواج والإنجاب تقر عينا كل من الزوجين بالزوج الآخر وبالأبناء الذين يجعلون للحياة قيمة أو معنى .

ويتفق الكثير من علماء النفس والاجتماع العائلى على أن تحديد مكانة الفرد الاجتماعية وإعطاء حياته معنى أو قيمة من أهم وظائف الأسر في تنمية الصحة النفسية والرضا بالحياة (Duvall & Miller, 1985) والاستمتاع بها . وهي متع لا

يجدها الإنسان إلا مع الزوجة والأبناء والأهل والأقارب . فالأسرة هي العش الذي يجد فيه الطفل الأمن والأمان ، ويجد فيه الرجل الراحة من عناء العمل ، وتجد فيه المرأة تحقيق ذاتها في رعاية أطفالها والعناية بزوجها وبيتها (Shorter, 1977:272) . والأسرة هي التي تحمي فردية الإنسان من الضياع في المجتمع، ويجد فيها من يتحمله بعيوبه، ويشاركه أفراحه وأحزانه بصدق وأمانة ويساعده بدون شروط (Dallos & Sopsford, 2000).

وقد أيدت دراسات عديدة أهمية هذه الوظيفة بالنسبة للأطفال والمراهقين والراشدين وكبار السن، فأشارت نتائجها إلى تفوق الأطفال والمراهقين الذين ينتمون إلى أسرٍ مستقرة على أقرانهم الذين حرموا من الحياةِ الأسريةِ في الذكاء العام والاجتماعى والانفعالى، وفي الدراسة والرضا عن الحياةِ والناس ، كما أشارت إلى أن المتزوجين أفضل من غير المتزوجين في الصحةِ النفسية والجسمية والتوافق الاجتماعى ، حيث كان المتزوجون أطول أعمارًا وأكثر تفاؤلا ورضا بالحياة ، واجتهادا في العمل ورغبة في النجاح والتفوق ، في حين كانت معدلات الإصابة بالأمراض والحوادث والانحرافات النفسية والإدمان والانتحار والمشكلات السلوكية والاجتماعية عند غير المتزوجين أعلى منها عند المتزوجين أصحاب الأسر (مرسى ، 2003).

وقد أرجع علماء النفس هذه النتائج إلى ما يحققه الانتماء إلى الأسرة في الطفولة والمراهقة من قيمة ومكانة اجتماعية للطفل والمراهق، تجعل لحياته معنى وأهدافا يسعده إنجازها ، وإلى ما يُحققه الشعور بالمسئولية عن الأسرة في الرشد والشيخوخة من قيمة ومكانة اجتماعية للراشد وكبير السن ، يجدها في صحبة ومساندة ومودة الزوجة والأبناء والأحفاد ، وهي مشاعر ممتعة وجميلة يُحرم منها غير المتزوجين ، الذين فرطوا في الزواج ، وضيعوا الأسرة، ففقدوا معنى الحياة وقيمتها ، وضل سعيهم في الحياة، وعاشوا بلا هدف (مرسى ، 2003 ، مرسى ، 2000) فالأسرة ـ كما قال جيمس كالاغان G.Callaghan عضو حزب العمال البريطانى في

السبعينات من القرن العشرين ـ الأسرة أهم مؤسسة اجتماعية في بريطانيا ، توفر لنا الأمن والأمان والحياة الطيبة المستقرة، وعلينا أن نعيدها إلى مكانتها في المجتمع ونقوى دعائمها لاسيما الأسرة الأبوية (Muncie & Wetherell, 2000:63).

تناقص وظائف الأسرة

أشار إميل دوركايم E. Durkeim في قانون تقلص وظائف الأسرة Contraction law إلى أن الأسرة من المنظور التاريخى تسير في الاتجاه الخطى إلى الوراء، حيث تسير حياتها من الأوسع إلى الواسع ، ثم إلى الضيق فالأضيق . فقد تقلص حجم الأسرة الممتدة، وظهرت الأسرة النواة ، ثم تقلصت وظائف الأسرة النواة، وضعف تماسكها وترابطها .

وانقسم علماءُ الاجتماعِ العائلى حول هذا القانون إلى فريقين : فريق أيد صحته لأنَّ الأسرةَ في الماضى ـ من وجهة نظرهم ـ كانت تقوم بوظائف عديدة ومتنوعة تشمل حياة الفرد كلها ، أما الأسرة المعاصرة فقد فقدت معظم هذه الوظائف، وتخلت عنها إلى مؤسسات اجتماعية أخرى ، تقوم بها بكفاءة أفضل بكثير من الأسرة . فمثلًا المدرسة تقوم بالتعليم ، والمستشفيات تقوم بالعلاج ، ومراكز العبادة تقوم بتعليم الدين أفضل من الأسرة وهكذا (Ingoldsly, 1995:85) . ولم يعد للأسرة المعاصرة إلا بعض الوظائف: كالإنجاب، وتربية الأطفال، وتوفير العطف والحنان والمودة لأفراد الأسرة.

ومن هذا الفريقِ كلٌّ مِن جورج ميردوك G. Murdock الذي أشار إلى أن الأسرة لم يعد لها وظائف إلا ممارسة الجنس وكسب المال والإنجاب وتنشئة الأطفال (Ingoldsly, 1995:85) وتالكوت بارسونز T. Parsons الذي أشار إلى أن الأسرةَ المعاصرةَ فقدت وظائفها، ولم يبق لها إلا وظيفتى الإنجاب وتنشئة الأطفال (Parsons, 1968)، ووليم أوجبورن W. Ogborn الذي ذهب إلى أن مشكلة الأسرة المعاصرة هي تنازلها عن وظائفها ووظيفة بعد أخرى إلى مؤسسات اجتماعية أخرى ، ولم يعد لها إلا وظيفتى الإنجاب وتوفير الحب والعطف لأفرادها

(Ogborn, 1961)، وماكفير الذي أشار إلى أن الأسرةَ المعاصرة قد عثرت أخيرًا على وظيفتها الحقيقية، وهي توفير العطف والمودة لأفرادها، فهي الوظيفة الوحيدة التي لا يمكن أن تقوم بها إلا الأسرة (بيري ، 1998).

أما الفريق الثاني فيرى أن الأسرة المعاصرة لا تزال تقوم بوظائفها العديدة المتنوعة لأفرادها ، والتي تشمل حياتهم كلها ، ولم يتناقص دورها ، ولم تتقلص وظائفها ، بل زادت الحاجة إلى الأسرة في العصر الحديث؛ لأن وظائفها مهمة بالنسبة للفرد والمجتمع ، ولا يمكن لأية مؤسسة رسمية القيام بها بكفاءة الأسرة . (Shorter,1977:272)

كما أن وجود مؤسسات اجتماعية متخصصة في التعليم والصحة والدين والترويح لا يعني أن الأسرةَ قد تخلت عن هذه الوظائف ، بل يعني أن مسئولياتها قد زادت في التعليم والرعاية والعلاج والدين والترويح ، لأن الأسرة المعاصرة تقوم بهذه الوظائف بنفسها كما كانت في الماضى، وزادت عليها مسئوليتها في مساعدة أفرادها على الاستفادة من خدمات الدولة في التعليم والرعاية والعلاج والترويح، وهذا قد وضع على الأسرة أعباء إضافية في الوقت الراهن (Muncie, at al., 2000, Fletcher, 1966:197).

وقد تأثر بعضُ علماءِ الاجتماع العائلى العرب بقانون " تقلص وظائف الأسرة" وطبقوه على الأسرةِ المسلمة المعاصرة ، وذهبوا إلى أنها تخلت عن الكثير من وظائفها ولم يعد لها إلا وظائف الإنجاب وتنشئة الأطفال ورعاية كبار السن . من هؤلاء العلماء الدكتور عبد الرؤوف الجرداوي الذي أشارَ في كتابه " علم الاجتماع العائلي" إلى "أن الواقع" يؤكد تقلص وظائف الأسرة المعاصرة ، فبعد أن كانت تقوم بوظائفها الفيزيقية والاقتصادية والثقافية والاجتماعية، تخلت عنها بعد أن تحولت الوظيفة الاقتصادية فيها من الإنتاج إلى الاستهلاك ، ووكلت الحماية إلى مؤسسات أخرى ، وتولت المدارس التعليم ، ولم يبقَ للأسرةِ إلا الإنجاب والتنشئة الاجتماعية "(الجرداوى ، 1986: 59).

وسار في الاتجاه نفسه الدكتور الوحيشى أحمد بيرى الذي أشار في كتابه "الأسرة والزواج : مقدمة في علم الاجتماع العائلى " إلى أن الأسرة العربية كانت إلى وقتٍ قريب تقوم بوظائف كثيرة ومتنوعة وواسعة ، تشمل حياة الإنسان كلها ، لكن مع نمو المجتمعات العربية الحديثة ، ووجود المؤسسات التي تشبعُ الحاجات الفردية ، أخذت من الأسرة وظائفها : وظيفة بعدَ أخرى ، لكنها لا تزال تحتفظ بوظيفة الإشباع العاطفي، التي تشمل الإنجاب وتنشئة الأطفال ورعاية كبار السن من الوالدين والأقارب " (بيري ، 1998 : 78).

وأرجع الوحيشي تحول الأسرة العربية المعاصرة عن بعض وظائفها إلى التغير الاجتماعى، الذي حدث في المجتمعات العربية الحديثة، بسبب التصنيع والتحضر ، اللذين أديا إلى نشأة مؤسسات ونظم اجتماعية حديثة، أكثر قدرة من الأسرة على القيام بهذه الوظائف (بيرى ، 1998 : 86).

واتفق الوحيشي مع عفيفي على أن تقلص وظائف الأسرة المعاصرة لا يدل على إخفاقها في القيام بوظائفها ، ولا يدل على انحلالها وتفككها بقدر ما يدل على وحدةِ الأسرة وتكاملها ، وزيادة قدرتها على تنشئة الأطفال . وهي الوظيفة الوحيدة الأساسية التي بقيت للأسرة المعاصرة (بيرى ، 1998: 79).

الأدلة على عدم تناقض وظائف الأسرة المسلمة :

والسؤال هنا هل وظائف الأسرة المسلمة المعاصرة تقلصت أو نقصت ؟ بعبارة أخرى هل كانت الأسرة المسلمة تقوم بوظائف في الماضي وتخلت عنها في الحاضر ؟ والإجابة من وجهة نظر الكاتب لا . فوظائف الأسرة المسلمة المعاصرة لم تتغير ، ولم تتقلص في الحاضر عما كانت عليه في الماضى ، ولن تتغير في المستقبل لأسباب عدة نلخصها في الآتى:

1- وظائف الأسرة المسلمة محددة بتشريع سماوي ثابت، لا يتغير بتغير الزمان ولا المكان، فالتشريع الإسلامي حدد من حوالى 1500 سنة واجبات وحقوق أفراد الأسرة، التي تقوم عليها وظائف الأسِرة المسلمة ، وتشمل واجبات الزوج نحو

زوجته ، والزوجة نحو زوجها ، والآباء نحو الأبناء ، والأبناء نحو الآباء، وواجبات صلة الرحم . وهذا يعني أن وظائف الأسِرة المسلمة ثابتة، ولا يمكن أن تتخلى عنها في الحاضر ولا في المستقبل ، لأنها ـ أي وظائف الأسرة ـ جزء لا يتجزأ من عقيدة المسلمين، التي لا تقبل التغيير ولا التقليص.

2- قانون تقلص وظائف الأسرة مستمد من مشاهدات على الأسرة في المجتمعات الغربية المعاصرة، التي تغير مفهومها ومدلولها وبناؤها وأشكالها ، وتمرد كثير من الناس على ثوابتها في الزواج ، وتقسيم الأدوار الاجتماعية وفق الجنس والعلاقات الوالدية والزواجية . والمشاهدات على تقلص وظائف الأسرة المعاصرة في الغرب لا يجوزُ تعميمها على الأسرة المسلمة المعاصرة ، لأن الأسرة تقوم في الغرب على تشريع اجتماعى أو مدنى، وتقوم في الإسلام على تشريع سماوى . يضاف إلى هذا أن العادات والتقاليد والمعتقدات في الغرب تسمح ـ مع التحفظ ـ بتقليص وظائف الأسرة هناك ، لكن العادات والتقاليد والمعتقدات في المجتمعات الإسلامية لا تسمح بذلك .

3- الأدلة على تقلص وظائف الأسرة المعاصرة لا تدل بقوة على أن الأسرة قد تخلت عن كل أو بعض وظائفها التي كانت تقوم بها في الماضى ، لأنه لو سلمنا مع مَنْ قالوا: " تخلت الأسرة عن معظم وظائفها ولم يبقَ لها إلا وظيفتي التنشئة وتوفير المودة والمحبة " فإن قيام الأسرة بهاتين الوظيفتين يدل على أن وظائفها لم تتقلص ولم تنقص عما كانت عليه في الماضى ، لأنَّ الأسرة المعاصرة لا تستطيع القيام بتنشئة أطفالها وتوفير المودة والمحبة إلا إذا قامت بوظائفها الأخرى . فمثلًا لكي تقوم الأسرة بتنشئة الأطفال عليها أن تقوم بوظائف الإنجاب وإشباع حاجات الأفراد ورعايتهم وتعليمهم ومساندتهم، والإنفاق عليهم وإكسابهم عادات وتقاليد المجتمع وغير ذلك من الوظائف، التي كانت الأسرة تقوم بها في الماضي، وستقوم بها في المستقبل .

ولكي تقوم الأسِرة المعاصرة بوظيفتها في توفير المودة والمحبة والمساندة لأفرادها

عليها أن تقوم لهم بوظائفها في الرعاية والتعليم والترويح والإنفاق وإشباع الحاجات، وغيرها من الوظائف التي تشعرهم بالمودة والمحبة والمساندة، فهذه الوظيفة لا تقوم بها الأسرة في معزل عن وظائفها الأخرى .

وهذا يؤكدُ أن وظائف الأسرة المعاصرة لم تتقلص، ولم تتخلى الأسرة عن أية وظيفة منها ، لأن الأسرة لا تكون أسرة إلا إذا قامت بوظائفها جميعها لأفرادها التي وجدت من أجلهم ووجدوا من أجلها.

4- قد ينطبق " قانون تناقص وظائف الأسرة" على أشكال الأسر غير التقليدية ولا ينطبق على الأسرة التقليدية المعاصرة في المجتمعات الحديثة ، لأن الأسر غير التقليدية أسر شاذة ، لا تقوم على الزواج التقليدي ولا تستطيع القيام بوظائف الأسرة التقليدية كلها أو بعضها . فمثلًا أسرة الجنس الواحد لا تستطيع الإنجاب وتربية الأطفال ، وأُسر المعاشرة لا تقوم على الزواج ، والأسرة الزواجية تجعل الزواج غاية وليس وسيلة ، ولا تهتم بوظائف الأسرة التقليدية في الإنجاب وتنشئة الأطفال . فالنظم الأسرية الحديثة ليست أسرًا حقيقية لكنها أنظمة اجتماعية قبلها بعض علماء الاجتماع العائلي في أوربا وأمريكا ، وعدوها أنظمة أسرية معاصرة ، وطبقوا عليها " قانون تناقص وظائف الأسرة المعاصرة" ولا يجوز لبعض علماء الاجتماع العائلى في المجتمعات الإسلامية الدخول ورائهم في جُحر الضب في تطبيق قانون تناقص الوظائف على الأسرة المسلمة أو العربية ، لأنها أسرة حقيقية تقوم بوظائفها وفق الشريعة الإسلامية .

5- وظائف الأسرة المعاصرة هي نفسها وظائف الأسرة في الماضى، وهي وظائف ثابتة لا يستغني عنها الفرد ولا المجتمع (Shorter, 1977:271) وإنما تواجه بعض الأسر المعاصرة صعوبات اقتصادية أو اجتماعية أو نفسية أو صحية، تحد من قدرتها على القيام بوظائفها ، أو تجعلها تتخلى عن بعض وظائفها؛ لأنها تعاني من الجهل والمرض والفقر والعجز والإهمال والتصدع الأسري (Ingoldsly,1995)، وغيرها من المشكلات أو الصعوبات التي تمنعها من القيام

بوظائفها، أو تجعلها تهمل في القيام بها ، والذي يظهر في تقاعس بعض الآباء في رعاية أبنائهم ، وعقوق بعض الأبناء لآبائهم ، وهجر بعض الأزواج لزوجاتهم ، وطلب بعض الزوجات الخلع لأسباب بسيطة ، وقطع بعض الناس لصلة الرحم وعدم مودة الأهل . فهذه أخطاء تقع فيها كثير من الأسر ، لكن لا يعني هذا أن الأسرة المعاصرة بعامة قد تخلت عن وظائفها الأسرية ، أو أن وظائفها قد تقلصت أو نقصت ، إنما يدل على أن بعض الأسر المعاصرة غير قادرة على القيام بوظائفها، وفي حاجة إلى الإرشاد النفسى والاجتماعى، وإلى المساعدات المادية والمعنوية حتى تحل مشكلاتها، وتتغلب على الصعوبات والأزمات التي تواجهها، وتعود إليها قدرتها على القيام بوظائفها . فمن المتفق عليه ـ عند الكثير من علماء الاجتماع العائلى وعلم النفس الأسرى ـ أن عدم قدرة هذه الأسر في القيام بوظائفها أمر غير عادى ، يجعلها أسرًا غير عادية أو مريضة أو مختلة لأي سبب من الأسباب ، وفي حاجة إلى العلاج والرعاية من المجتمع . أما الأسر العادية أو الجيدة Healthy families، وهي كثيرة، لاسيما في المجتمعات الإسلامية المعاصرة ، فتقوم بوظائفها كما يجب ، ولم تتخلَّ عن أية وظيفة، بل تسعى إلى تحسين وظائفها من خلال الاستفادة من مؤسسات المجتمع المتخصصة في هذه الوظائف .

المسئوليات الأسرية

يناط عادة بالوالدين أو الزوجين مسئوليات القيام بوظائف الأسرة وتحقيق أهدافها من خلال قيامهما بواجباتها الأسرية وأدوارهما الاجتماعية في الزواج والوالدية . وتنقسم المسئوليات الأسرية Family responsibilities إلى خمسة أنواع هي : الواجبات والحقوق الزواجية، والأعمال المنزلية ، والتنشئة الاجتماعية للأبناء ، والقوامة أو القيادة في جماعة الأسرة ، والعمل في كسب الرزق والإنفاق على الأسرة.

وهذه المسئوليات هي أساس الحياة الأسرية، ومصدر استقرارها وأمنها واستمرارها ونجاحها ، ويسهم فيها كل من الزوجين بدرجة ما ، وفق قدراته

وطبيعته والأعراف الاجتماعية . فكل أسرة تنشأ بالزواج الذي يجعل الزوج مسئولا عن رعاية زوجته والزوجة مسئولة عن رعاية زوجها . ثم تكتمل الأسرة بالإنجابِ الذي يجعل الوالدين مسئولين عن رعاية أبنائهما والإنفاق عليهم ، وتوجيههم والولاية عليهم التي تتضمن القوامة والحماية والمساندة في السراء والضراء .

توزيع المسئوليات :

ومع أن الزوجين أو الوالدين يسهمان معًا في القيام بالمسئوليات الخمس السابقة بحيث تكمل إسهامات كل منهما إسهامات الزوج الآخر، ومع هذا فإن الحياة الأسرية تتطلب أن تكون إسهامات الزوج أكبر من إسهامات الزوجة في بعض المسئوليات، وإسهامات الزوجة أكبر من إسهامات الزوج في بعضها الآخر ، وإسهاماتهما متساوية أو متقاربة في مسئوليات ثالثة .

والمسئوليات الأسرية التي يسهم فيها الزوج أكثر من الزوجة هي مسئوليتي **الإنفاق والقوامة** في الأسرة لاسيما في الأسرة المسلمة، التي جعلها الإسلام أسرة أبوية يقوم فيها الزوج أو الأب بمسئوليات القوامة والإنفاق . فقال تعالى: ﴿ ٱلرِّجَالُ قَوَّٰمُونَ عَلَى ٱلنِّسَآءِ بِمَا فَضَّلَ ٱللَّهُ بَعۡضَهُمۡ عَلَىٰ بَعۡضٖ وَبِمَآ أَنفَقُواْ ﴾ [النساء: 34] ولكن لا يمنع الإسلام المرأة من الإسهام في القوامة والإنفاق على الأسرةِ؛ لأنها راعية في بيت زوجها ومسئولة عن رعيتها ، ولأنها مكلفة بالتعاون مع زوجها على البر والتقوى، الذي من أبوابه الإنفاق على الأسرة وإدارة شئونها ورعاية أفرادها ، ولها في ذلك الأجر والثواب من الله .

وإسهام الرجل بدور كبير في الإنفاق والقوامة في الأسرة متعارف عليه في كثير من المجتمعات غير الإسلامية ، حيث يتفق الناس في هذه المجتمعات على أن إسهامات الرجل أكبر من المرأة في الإنفاق على الأسرة ، حتى ولو كانت المرأة تعمل خارج الأسرة ، وارتباط الإنفاق بالقوامة (Feldman, 1982, Adaline,1981) يجعل الزوج مسئولا عن القوامة أكثر من الزوجة .

أمـا مـسئولية **الأعـمال المنزليـة** House works وإدارة البيـت والمحافظـة عـلى استقراره، فإسهامات الزوجة فيها أكبر من إسهامات الـزوج وهـي مـن الأعـراف السائدة في معظم المجتمعات؛ حيث يناط بـالمرأة رعايـة البيـت ، وتـوفير حاجـات المعيشة لأفراد الأسرة، حتى لو كانـت المـرأة تعمـل خـارج البيـت ، فطبيعـة المـرأة ومهاراتها وميولها تجعلها أكثر كفاءة من الرجل في القيام بالأعمال المنزلية . ولا يعني هذا عدم إسهام الرجل في الأعمال المنزلية ، لأن كلَّ الرجال يتعاونون مع زوجـاتهم في إنجاز الكثير مـن الأعـمال المنزليـة الكبـيرة أو الثقيلـة (Dallos & Sapsford, 2000 Feldman, 1982) ولا توجد أسرة إلا والزوج يسهم مع زوجته في الأعـمال المنزلية بشكل أو بآخر.

أما مسئولية **الواجبات والحقوق الزواجية** فهي مسئولية مشتركة بين الزوجين، وإسهامات كل منهما فيها مساوية لإسهامات الزوج الآخر، ولا نستطيع القول أن الزوجة تسهم في الزواج أكثر من الزوج ، ولا الزوج أكثر من الزوجة؛ لأن الواجبات والحقوق الزواجية متقابلة ، فواجبات الزوج حقوق للزوجة ، وواجبات الزوجة حقوق للزوج . وقد شرع الله الزواج لمصلحة كل من الزوجين بدرجة متساوية وجعل على كل منهما من الواجبات مثل ماله من الحقوق . فقال تعالى: ﴿ وَلَهُنَّ مِثْلُ ٱلَّذِى عَلَيْهِنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ﴾ [البقرة: 228] مما يعني أن واجبات الزوج مساوية لواجبات الزوجة تمامًا ، لأنهما وجهان لعملة واحدة هي الزواج.

كذلك مسئولية **تربية الأبناء** فهي مسئولية مشتركة أو متساوية بين الوالدين . ومن الخطأ الاعتقاد السائد " أن مسئولية الأم أكبر من مسئولية الأب في التنشئة الاجتماعية للأطفال ، لأن مسئولية الأب مكملة لمسئوليات الأم ، وكذا مسئولية الأم مكملة لمسئوليات الأب في التنشئة ، والطفل في حاجة إلى رعاية والديه معًا ، وحاجته إلى رعاية أبيه لا تقل أهمية عن حاجته إلى رعاية أمه . يضافُ إلى هذا أن دوافع الأبوة لا تقل قوة عن دوافعِ الأمومةِ في دفع الوالدين معًا إلى الإنجاب والتنشئة الاجتماعية .

ولا يختلف اثنان على أن الأمَّ تقضي أوقاتًا أطول من الأب مع أطفالها في البيت وتقوم بأعمال في رعايتهم لا يقدر الأب على القيام بها، لكن لا يعني هذا أن مسئولية الأم أكبر من مسئولية الأب في التنشئة ، لأن الطفل لا يستغني عن رعاية أبيه في مراحل حياته جميعها، ولا تتحقق التنشئة الاجتماعية إلا بالتعاون بين الوالدين وتكامل دوريهما في الأبوة والأمومة.

تقسيم العمل وفق الجنس :

ويتطلب توزيع المسئوليات في الأسرة تقسيم العمل بين الزوجين أو الوالدين وفق إسهامات كل منهما في رعاية الأسرة . فيختص الزوج أو الأب بالعمل خارج البيت في كسب الرزق؛ ليستطيع تحمل مسئوليتى الإنفاق والقوامة ، وتختص الزوجة أو الأم بالأعمال المنزلية وتربية الأبناء؛ لتستطيع تحمل مسئولياتها الزواجية والأمومة وتحقيق الأمن والاستقرار النفسى ، وتتكامل أدوارها مع أدوار زوجها في النهوض بوظائف الأسرة وتحقيق أهدافها.

ولا يمنع " تقسيم العمل في الأسرة " الزوجة أو الأم من العمل خارج البيت وكسب الرزق ، بشرط ألا يتعارض عملها خارج البيت مع مسئولياتها في الأسرة التي يجب أن تكون في مقدمة اهتماماتها، في مقابل أن يكون العمل في كسب الرزق والإنفاق في مقدمة اهتمام الزوج أو الأب ، فيحدث التكامل في أدوار الزوجين في تحمل مسئوليات الرعاية في الأسرة .

* * *